الفصل الثانى عشر

أبطال خلدتهم بطولاتهم

إن الأبطال الذين نتحدث عنهم هم رجال القوات المسلحة المصرية الذين قدموا أرواحهم فداءًا لوطنهم، وضحوا بكل غالٍ ونفيس فى سبيل عزة وطنهم وكرامته بعد أن أقسموا ألا يسلموا راية بلدهم للأجيال القادمة إلا مرفوعة خفاقة بعد استرداد كل شبر من أرضهم وتحقيق الإنتصار المبين، فمنهم من رحل عن عالمنا بعدما نال الشهادة، ومنهم من توفاه الله بعدما أدى دوره بكل شرف وإخلاص تجاه وطنه، بعد أن حفروا أسماءهم فى سجل الشرف والوطنية بحروف من نور، وتركوا لنا بطولاتهم الخالدة حية نابضة تُعلم الأجيال الوليدة قصة الكفاح والنضال فى سبيل الوطن حتى تحقق النصر، والمعنى الحقيقى للتضحية والفداء، وقد وهبتهم بطولاتهم الخلود ليبقوا فى ذاكرة وطنهم وأمتهم نستمد منهم العزيمة والإصرار على تحقيق الأهداف السامية و من هؤلاء الأبطال :

■ أسد الصاعقة وبطل المجموعة ٣٩ قتال:

الشهيد إبراهيم الرفاعى من مواليد قرية الخلالة، مركز بلقاس بمحافظة الدقهلية فى ٢٧ يونيو عام ١٩٣١م.

التحق البطل إبراهيم الرفاعى بالكلية الحربية عام ١٩٥١م وتخرج عام ١٩٥٤م، وانضم عقب تخرجه إلى سلاح المشاة

وكان ضمن أول فرقة قوات الصاعقة المصرية فى منطقة (أبوعجيلة) ولفت الأنظار بشدة خلال مراحل التدريب لشجاعته وجرأته منقطعة النظير.

تم تعيينه مدرسًا بمدرسة الصاعقة، وشارك فى بناء أول قوة للصاعقة المصرية، وعندما وقع العدوان الثلاثى على مصر فى عام ١٩٥٦م شارك فى الدفاع عن مدينة بورسعيد.

كانت معارك بورسعيد من أهم مراحل حياة إبراهيم الرفاعى، إذ عرف مكانه تمامًا فى القتال، وهو خلف خطوط العدو، وكان لديه اقتناع تام بأنه لن يستطيع أن يتقدم ما لم يتعلم، فواصل السير على طريق اكتساب الخبرات وتنمية إمكاناته فالتحق بفرقة (بمدرسة المظلات) ثم انتقل لقيادة وحدات الصاعقة للعمل كرئيس عمليات.

أتت حرب اليمن لتزيد خبرات ومهارات البطل أضعافا، وتولى خلالها منصب قائد كتيبة صاعقة بفضل مجهوده والدور الكبير الذى قام به خلال المعارك، حتى إن التقارير التى أعقبت الحرب ذكرت أنه «ضابط مقاتل من الطراز الأول، جرىء وشجاع ويُعتمد عليه، يميل إلى التشبث برأيه، محارب ينتظره مستقبل باهر»، وخلال عام ١٩٦٥م صدر قرار بترقيته ترقية استثنائية تقديرًا للأعمال البطولية التى قام بها فى الميدان اليمنى .

بعد معارك ١٩٦٧م وفى يوم ٥ أغسطس ١٩٦٨م بدأت قيادة القوات المسلحة فى تشكيل مجموعة صغيرة من الفدائيين للقيام ببعض العمليات الخاصة فى سيناء، باسم فرع العمليات الخاصة التابعة للمخابرات الحربية والاستطلاع كمحاولة من القيادة لاستعادة القوات المسلحة ثقتها بنفسها والقضاء على إحساس العدو الإسرائيلى بالأمن، وبأمر من مدير إدارة المخابرات الحربية اللواء محمد أحمد صادق وقع الاختيار على إبراهيم الرفاعى لقيادة هذه المجموعة، فبدأ على الفور فى اختيار العناصر الصالحة لهذه النوعية من العمليات.

كانت أولى عمليات هذه المجموعة نسف قطار للعدو عند (الشيخ زويد)، ثم نسف مخازن للذخيرة التى تركتها قواتنا عند انسحابها من معارك ١٩٦٧م، وبعد هاتين العمليتين الناجحتين، وصل لإبراهيم خطاب شكر من وزير الحربية على المجهود الذى يبذله فى قيادة المجموعة.

ومع الوقت كبرت المجموعة التى يقودها البطل وصار الانضمام إليها شرفاً يسعى إليه الكثيرون من أبناء القوات المسلحة، وزادت العمليات الناجحة ووطئت أقدام جنود المجموعة الباسلة مناطق كثيرة داخل سيناء، فصار اختيار اسم لهذه المجموعة أمراً ضرورياً، وبالفعل أُطلق على المجموعة اسم المجموعة ٣٩ قتال، وذلك من يوم ٢٥ يوليو ١٩٦٩م واختار الشهيد البطل إبراهيم الرفاعى شعار رأس النمر رمزاً للمجموعة، وهو نفس الشعار الذى اتخذه الشهيد أحمد عبدالعزيز خلال معارك ١٩٤٨م.

وفى عام ١٩٦٨م كان الرفاعى ومجموعته أصحاب الفضل فى أسر أول ضابط إسرائيلى وهو الملازم (دانى شمعون) والعودة به إلى القاهرة دون إصابات.

كانت المجموعة ٣٩ قتال التى يقودها الرفاعى معروفة لجيش الاحتلال الإسرائيلى بمجموعة «الأشباح» وقد أذاقت العدو مرارة الهزيمة المصحوبة بالحسرة، فى عدة اشتباكات، ووصفتهم الصحف الإسرائيلية فى وقت ما قبل الحرب بـ (الشياطين المصريين) .

وكانت المجموعة الوحيدة التى سمح لها الرئيس جمال عبدالناصر بكسر اتفاقية «روجرز» لوقف إطلاق النار، كما يذكر عنهم أيضا أنهم أول من ألفوا نشيد الفدائيين المعروف بين رجال القوات المسلحة.

وفى مطلع عام ١٩٦٨م نشرت إسرائيل مجموعة من صواريخ أرض أرض لإجهاض أى عملية بناء للقوات المصرية، وعلى الرغم من أن إسرائيل كانت متشددة فى إخفاء هذه الصواريخ بكل وسائل التمويه والخداع، إلا أن وحدات الاستطلاع كشفت العديد منها على طول خط المواجهة. وقال الفريق أول عبدالمنعم رياض لإبراهيم الرفاعى: «إسرائيل نشرت صواريخ فى الضفة الشرقية.. عايزين منها صواريخ يا رفاعى بأى ثمن» لمعرفة مدى تأثيرها على الأفراد والمعدات فى حالة استخدامها ضد جنودنا.

عبر الرفاعى برجاله قناة السويس، واستطاع أن يعود ولكن ليس بصاروخ واحد وإنما بثلاثة صواريخ، وأحدثت هذه العملية دويًا هائلاً فى الأوساط المصرية والإسرائيلية على حد سواء حتى تم على إثرها عزل القائد الإسرائيلى المسؤول عن قواعد الصواريخ.

وصبيحة استشهاد الفريق عبدالمنعم رياض طلب عبدالناصر القيام برد فعل سريع وقوى ومدو؛ حتى لا تتأثر معنويات الجيش المصرى باستشهاد قائده، فعبر الرفاعى القناة واحتل برجاله موقع المعدية ٦، الذى أطلقت منه القذائف التى كانت سببًا فى استشهاد الفريق رياض، وأباد كل من كان فى الموقع من الضباط والجنود البالغ عددهم ٤٤ عنصرًا إسرائيليًا.

حتى إن إسرائيل من هول هذه العملية وضخامتها تقدمت باحتجاج إلى مجلس الأمن فى ٩ مارس ١٩٦٩م يفيد بأن جنودهم تم قتلهم بوحشية، ولم يكتف الرفاعى بذلك، بل رفع العلم المصرى على حطام المعدية ٦ بعد تدميرها، وكان هذا العلم يرفرف لأول مرة على القطاع المحتل منذ ٦٧، ويبقى مرفوعًا قرابة ثلاثة أشهر.

مع حلول أغسطس عام ١٩٧٠ بدأت الأصوات ترتفع في مناطق كثيرة من العالم منادية بالسلام بينما يضع الرفاعى برامج جديدة للتدريب ويرسم خططا للهجوم، كانوا يتحدثون عن السلام ويستعد هو برجاله للحرب، كان يؤكد أن الطريق الوحيد لاستعادة الأرض والكرامة هو القتال، كان على يقين بأن المعركة قادمة وعليه إعداد رجاله فى انتظار المعركة المرتقبة.

بدأت معركة السادس من أكتوبر المجيدة، ومع الضربة الجوية الأولى وصيحات الله أكبر، انطلقت كتيبة الصاعقة التى يقودها البطل فى ثلاث طائرات هليكوبتر لتدمير آبار البترول فى منطقة بلاعيم شرق القناة لحرمان العدو من الاستفادة منها وينجح الرجال فى تنفيذ المهمة.

وتتوالى عمليات المجموعة الناجحة؛ ففى السابع من أكتوبر تُغير المجموعة على مواقع العدو الإسرائيلى بمنطقتى شرم الشيخ ورأس محمد، وفى اليوم نفسه تنجح المجموعة فى الإغارة على مطار (الطور).

وتدمير بعض الطائرات الرابضة به؛ مما أصاب القيادة الإسرائيلية بالارتباك من سرعة ودقة الضربات.

فى ١٨ أكتوبر طلب الرئيس أنور السادات من إبراهيم الرفاعى أن يعبر القناة حتى يصل لمنطقة «الدفرسوار» التى وقعت فيها الثغرة ليدمر المعبر الذى أقامه العدو ليعبر منه إلى الغرب، وإلا فإن قوات العدو يمكن أن تتدفق عبر قناة السويس.

■ شارون .. يفر هربًا من الرفاعى:

لم يخذل الرفاعى الرئيس السادات، واستطاع هو ومجموعته بالفعل تفجير المعبر ووقف الزحف الإسرائيلى إلى منطقة الدفرسوار، واستطاع الرفاعى أن ينهي المذابح التى ارتكبها الإسرائيليون فى هذه المنطقة لدرجة أن أرييل شارون الشهير بـ (إيريك)، الذى كان قائد المجموعة الإسرائيلية، ادعى الإصابة، ليهرب من جحيم الرفاعى بطائرة هليكوبتر، مما دفع الجنرال جونين، قائد الجبهة الجنوبية فى سيناء فى ذلك الوقت إلى المطالبة بمحاكمته لفراره من المعركة.

كان رجال المجموعة يخوضون قتالاً مع مدرعات العدو الصهيونى، وسقطت قنبلة من إحدى مدفعيات الإسرائيليين بالقرب من موقع البطل العظيم لتصيبه ويسقط جريحاً، وبرغم ذلك رفض أن ينقذه رجاله، وطلب منهم أن يستمروا فى المعركة.

كان خبر إصابة البطل الجسور إبراهيم الرفاعى مفاجئاً للقيادة المصرية، وعندما علم السادات طلب سرعة نقل البطل إلى القاهرة، لكنه استشهد فى يوم الجمعة ٢٣ رمضان.

روى أحد قيادات المجموعة، ويدعى أبوالحسن لحظات استشهاد الرفاعى، قائلاً: كان الرفاعى عادة ما يرتدى حذاءً ذا لون مختلف عن بقية المجموعة، عندما رأى زملاؤنا حذاءه أبلغوا باللاسلكى أنه أصيب، وسمعهم اليهود وعرفوا الخبر، وكانت فرحتهم لا توصف حتى إنهم أطلقوا الهاونات الكاشفة احتفالاً بالمناسبة، وذهبنا به لمستشفى الجلاء، وحضر الطبيب، وكانت الدماء تملأ صدره وقال لنا (أدخلوا أبوكم)، فأدخلناه غرفة العمليات، ورفضنا أن نخرج، فنهرنا الطبيب فطلبنا منه أن ننظر إليه قبل أن نخرج فقال: أمامكم دقيقة واحدة فدخلنا إليه وقبلته فى جبهته وأخذت مسدسه ومفاتيحه ومحفظته ولم نستطع أن نتماسك لأننا علمنا أن الرفاعى استشهد، وكان يوم جمعة يوم ٢٣ رمضان، وكان صائماً، فقد كان رحمه الله يأمرنا بالإفطار ويرفض أن يفطر، وقد تسلمنا جثته بعد ثلاثة أيام، وفى حياتنا لم نر ميتا يظل جسمه دافئاً بعد وفاته بثلاثة أيام وتنبعث منه رائحة المسك.. رحمه الله.

■ رئيس الأركان الذى أستشهد بين جنوده:

قدم حياته شهيدًا على خط النار، وعلى بعد أمتار قليلة من مياه القناة التى كانت فى وجدانه، وهو رئيس أركان حرب القوات المسلحة، ويخطط للعبور برجاله هذا المانع المائى الضخم، فكان أول شهيد مصرى فى العصر الحديث برتبة فريق يقدم حياته فداء لوطنه بين رجاله، وكان أول شهيد من القادة المصريين شغل أعلى منصب فى القوات المسلحة المصرية.

كانت زيارة اللواء عبد المنعم رياض رئيس أركان حرب القوات المسلحة للجبهة فى اليوم التالى لإحدى معارك حرب الاستنزاف التى كانت قد بدأت ضد القوات الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة ليدفع ثمنًا باهظًا لوجوده بين أبناءه من أفراد القوات المسلحة .

جاءت زيارة اللواء عبد المنعم رياض للجبهة ليلتقى مع قادة وضباط وجنود إحدى الكتائب بمنطقة المعدية رقم (٦)، بالقرب من شط القناة بالإسماعيلية، قام أفرادها بمهمة (قنص) ٣ جنود إسرائيليين على الضفة الشرقية للقناة ضمن

العمل اليومى للقناصة المصريين فى اصطياد جنود الاحتلال الذين يظهرون على الضفة الشرقية، فقام العدو بضرب الكتيبة بالمدفعية، حيث ركز عليها نيرانه وكانت زيارة اللواء عبد المنعم رياض لتكريم أفراد الكتيبة وأحس العدو أن هناك (شخصية مهمة) تزور الكتيبة، فقام بضربها وركز نيرانه عليها فسقطت إحدى القذائف لتصيب اللواء عبد المنعم رياض ومعه اللواء سعد نجيب الذى أصيب بكسر فى ساقه ويده ليصبح هذا اليوم ٩ مارس يومًا للشهيد .

وفى اليومين التاليين انتقم رجال عبد المنعم رياض من القوات الإسرائيلية فقد شهد يوم ١٠و١١ مارس ١٩٦٩م وأثناء تشييع جثمان عبد المنعم رياض فى جنازة عسكرية مهيبة، معارك ضارية عبر القناة شنتها الكتيبة التى استشهد بين رجالها عبد المنعم رياض، وخسر العدو فيها ٢٢ طائرة و١٠بطاريات مدافع ذاتية الحركة وهاون و١٠مواقع صواريخ و٥ طائرات مروحية كان العدو يستخدمها.

■ محرر القنطرة شرق:

تميزت حرب أكتوبر ١٩٧٣م بأنها جمعت لأول مرة الأسلحة المشتركة فى معركة واحدة، كما أنها جمعت بين العديد من أنواع المعارك، ففيها العبور، وفيها الاقتحام، وفيها معركة المدن التى

شهدتها مدينة القنطرة شرق، حيث خاض اللواء فؤاد عزيز غالى معركة قاسية لتحرير مدينة القنطرة شرق، والتى اهتم بها العالم لأنها ثانى أكبر مدينة فى سيناء بعد العاصمة العريش، وكان لنجاح القوات المصرية فى تحريرها صدى عالمى كبير أكد هزيمة الإسرائيليين.

واللواء فؤاد عزيز غالى قائد معركة تحرير مدينة القنطرة شرق عاش حياته العسكرية منذ تخرجه فى الكلية الحربية فى معارك متصلة ومتنوعة، بدأت فى فلسطين عام ١٩٤٨م بعد تخرجه وهو برتبة ملازم، فقد حارب فى غزة فى «بيت جالون» بجباليا وفى رفح، كما حارب فى اليمن قائدًا لمجموعة قتال، ثم قائدًا لكتيبة فى مناطق مختلفة، ثم عاش جزءًا كبيرًا من حياته مقاتلاً فى سيناء بعد يونيو ١٩٦٧م فى الضفة الشرقية للقناة حتى أصبح قائدًا للفرقة ١٨ مشاة ومسئولاً عن المحور الساحلى من القنطرة شرق إلى غزة، وعندما أصبح المشير أحمد إسماعيل وزيرًا للحربية جعله مسئولاً عن تحرير القنطرة شرق .

كانت خبراته العسكرية والمعارك التى شارك فيها تؤهله للقيام بمعركة جديدة تمثل معارك المدن، فكانت معركة القنطرة شرق التى انتزع فيها مدينة القنطرة من أيدى الإسرائيليين الذين حاولوا التشبث بها لكنهم فشلوا، حيث كانت المعارك التى خاضها غالى خلال حرب الاستنزاف تمثل تواصلاً بينه وبين الضفة الشرقية للقناة بالقرب من

مدينة القنطرة شرق، فقد قام مع مجموعة من رجاله بالهجوم على منطقة شمال البلاح ثلاث مرات فى عامى ١٩٦٩م و١٩٧٠م، كما عبر القناة برجاله وهاجم أحد المواقع بعنف، وانسحب بعده الإسرائيليون من الموقع وانتظرهم اللواء غالى برجاله ليفاجئهم عند عودتهم ليقتل منهم ٤٨ جنديًا.

كانت سيناء فى خيال اللواء فؤاد عزيز غالى منذ عبرها إلى فلسطين، ثم خلال السنوات التالية لمعركة ١٩٦٧م والمعارك التى خاضها خلال حرب الاستنزاف، فكان يدرس الأرض وطبوغرافية مناطقها، وطرق الاقتراب والهيئات الطبيعية ليختار منها المواقع لقواته عندما تحين لحظة الحسم وتبدأ المعركة المنتظرة.

وكان اللواء فؤاد عزيز غالى مقتنعًا بما يقوله الرئيس السادات من أننا يجب أن نحارب بما فى أيدينا من أسلحة دفاعية أو هجومية، وكان ينقل هذه الرؤية لرجاله من القادة والضباط والجنود، مؤكدًا على أن التدريب الجيد يُمكن المقاتل من أن ينتصر إذا استخدم سلاحه الاستخدام الصحيح ،وطبقًا للخطط الموضوعة والتى شارك القادة فى مناقشتها أو تعديلها على مسئوليتهم بهدف تنفيذ الخطط طبقًا لسير المعارك وبالشكل الذى يحقق النصر .

وكان الفريق فؤاد عزيز غالى والذى تمت ترقيته بعد حرب أكتوبر يرى أن القوات الإسرائيلية أخذتها المفاجأة فى

الساعات الأولى للقتال، وأننا كنا نعتمد على تأثير المفاجأة عليهم وحققنا بها العبور واقتحام خط بارليف، والساتر الترابى، وتدفق القوات والمعدات والأسلحة ولكنهم عندما أفاقوا من المفاجأة بدأوا قتالاً شرسًا اعتمد على الطيران والمدرعات وعلى كل الأسلحة المتاحة لديهم، ولكننا نجحنا فى تحطيمها ولولا الإنقاذ الأمريكى لهم بالجسر الجوى من الأسلحة الحديثة لما استطاعوا مواصلة القتال بعد اليوم الرابع للمعركة ولكننا انتصرنا فى النهاية .

■عاد بقواته سالمة بعد الانسحاب فى يونيو:

خاض عبد المنعم واصل معركة شرسة خلال حرب يونيو ١٩٦٧م هى معركة جبل «لبنى»، قاتل فيها مع رجاله ضد القوات الإسرائيلية، واستطاع أن يعود بمعظم قواته إلى الضفة الغربية للقناة، وهى معركة يسجلها له من عاصروه من القادة والضباط وذكرها الرئيس السادات وأشاد بها فى لقاءاته مع ضباط وجنود الجيش الثالث وفى حضورعبد المنعم واصل قائد الجيش الثالث .

كانت رؤية اللواء عبد المنعم واصل والذى رقى إلى رتبة الفريق بعد حرب أكتوبر تسير طبقًا للخطة المقررة للوصول إلى أعلى مستويات التدريب، وقال أمام الرئيس السادات إن ((التدريب ماشى تمام)) والروح المعنوية عالية، وذلك فى الاجتماع التاريخى للمجلس الأعلى للقوات المسلحة فى ٢٤ أكتوبر١٩٧٢م، أى قبل معركة أكتوبر بأقل من عام، وكان هذا الاجتماع فى مكتب الرئيس بالجيزة، وناقش فيه الرئيس كل ما يتعلق بالاستعداد للحرب المنتظرة.

وتطرق الحديث إلى ما أثاره البعض عن الأسلحة الهجومية والدفاعية، وقال الفريق عبد المنعم واصل إننا إذا كنا سندخل المعركة بما فى أيدينا من أسلحة، فيجب أن نقبل أية خسائر خاصة مع وضع الساتر الترابى الذى يرتفع إلى ١٨ و٢٠ متراً وإقامة مصطبة متصلة أمام مواجهة الجيش بكامله لضرب الهجمات عليها بحيث تضرب أى قوات تعمل على العبور مما سيتسبب فى حدوث خسائر كبيرة.

وكانت أمام الجيش الثالث مهام صعبة، متمثلة فى اختلاف طبيعة الأرض، ووجود عدد من النقط الحصينة، التى كانت تتعامل مع مدينة السويس وضاحية بور توفيق والمنطقة الصناعية الحصينة فى عيون موسى، والتى كانت تشارك فى ضرب مدينة السويس وضاحية بورتوفيق والمنطقة الصناعية البترولية .

واستطاعت قوات الجيش الثالث أن تحقق أهدافها المخططة من القتال، واستولت على النقاط الحصينة المواجهة لمناطق تمركز القوات المسلحة، ومن بينها نقطة لسان بورتوفيق ونقطة عيون موسى وكانت تشرف على منطقة خليج السويس ومدينة السويس وضاحية بورتوفيق وكانت تسيطر على طريق عيون موسى – رأس سدر وكانت تضرب ضربات انتقامية لمحافظة السويس فى حرب الاستنزاف وكانت هدفًا للنيران المصرية طوال حرب الاستنزاف.

وكانت النقطة الحصينة فى عيون موسى تحتوى على ٩ مدافع عيار ١٥٥مم ومداها المؤثر ٢٢ كيلومترًا، وتضم دشمًا محصنة جهزها العدو على هيئة غرف من الخرسانة المسلحة ذات حوائط سميكة قادرة على تحمل قنابل الطائرات زنة ١٠٠٠ رطل، وكل دشمة مجهزة بمَزْغَل[1] تيلسكوب بداخل الدشمة يسمح برؤية كل ما هو خارج النقطة الحصينة، ويتيح إطلاق النار فى حدود مساحة محددة وارتفاع محدد تجاه مدينة السويس، وتحميه بوابة على المزغل بسمك بوصة واحدة من الصلب لحماية المدفع الرئيسى وطاقم الجنود، كما أنها تضم ملاجئ للجنود من المواسير الصلب مغطاة بألواح من الصاج السميك فوقها طبقة من المكعبات الخرسانية وتحميها طبقة من التكسية الحجرية فوق الملجأ بسمك ٦ أمتار ومركز ملاحظة عبارة عن حجرة من الحديد سمكها

١ – مَزْغَل : ثقب أو فتحة أو منفذ فى جدار لإطلاق النيران .

واحد بوصة، بها مزاغل تشرف على جميع الجهات، ومزود بصندوق، وملحق به ملجأ للأفراد، وتحيطه حقول ألغام من كل جانب مضادة للدبابات والأفراد ومواقع من الأسلاك الشائكة والمدافع والبوابات التى تعمل كهربائيًا.

وقد نجحت قوات الجيش الثالث فى الاستيلاء على النقطة الحصينة فى عيون موسى، كما نجحت فى الاستيلاء على المنطقة الحصينة فى بورتوفيق إلى جانب الاستيلاء على المواقع الإسرائيلية واحتلال الأرض والتشبث بها حتى بعد أحداث الثغرة، وحتى الوقف النهائى لإطلاق النار، وفصل القوات والذى أكد انتصار مصر، فقد أثبت كفاءته وأنه فى خدمة وطنه عسكريًا أو مدنيًا.

فبإنتهاء الحرب أنتقل الفريق عبد المنعم واصل إلى العمل المدنى محافظًا لأكثر من محافظة منها الشرقية وسوهاج ثم عين نائبًا لوزير الزراعة .

■ شارك فى كل حروب مصر:

شارك أحمد إسماعيل فى جميع حروب مصر حتى انتصر فى أكتوبر ١٩٧٣م ليحقق أهم وأغلى الانتصارات فى العصر الحديث، رغم أنه كان فى ظروف صعبة كضابط مصرى،

عندما قرر الرئيس عبد الناصر إعفاءه من الخدمة فى ١٣ سبتمبر ١٩٦٩م، وكان رئيسًا لأركان حرب القوات المسلحة المصرية عقب استشهاد الفريق عبد المنعم رياض يوم ٩ مارس ١٩٦٩م، وشعر الرئيس عبد الناصر أن قرار إعفاء اللواء أحمد إسماعيل على لم يكن صائبًا، فقرر له معاش وزير بعد عدة شهور، ورغم ذلك لم ينس اللواء أحمد إسماعيل مصر التى تحتاج إليه، حتى أنه قضى معظم وقته فى وضع خطة للحرب التى يجب أن تخوضها مصر لتحرير أرضها.

وقد بدأت رحلة اللواء «أحمد إسماعيل على» مع حرب أكتوبر عندما استدعاه الرئيس السادات إلى منزله فى الجيزة وألمح له فى نهاية المقابلة أنه يريده وزيرًا للحربية ليقوم بتحرير سيناء، وأصدر الرئيس السادات قراره بتعيينه وزيرًا للحربية بعدها بيومين، واتفقت رؤيته مع الرئيس السادات فى أن الحل السلمى لتحرير سيناء أو غيرها من الأراضى المحتلة لن يتحقق، وأن علينا أن نحارب لتحرير سيناء، أو ما نستطيع تحريره منها لتحريك القضية حتى يمكن أن نسترد أرضنا بعدها سلمًا أو حربًا .

وكانت المهمة صعبة لأنه يعود للخدمة وزيرًا للحربية بينما كان بعيدًا عن القوات المسلحة لفترة طويلة، وبمجرد عودته بدأ يمارس مهامه بالتركيز على خلق مناخ جديد بين القادة والضباط والجنود باعتبارهم شركاء فى الحرب المنتظرة لتحرير الأرض، ودراسة كل المشكلات والصعوبات

التى تواجه القوات المسلحة حتى يمكنها أن تخوض المعركة المنتظرة وتنتصر فيها، لأن الموقف لا يحتمل هزيمة جديدة، والتطوير الضرورى للقوات المسلحة تدريبًا وتسليحًا وتنظيمًا وتجهيز مسرح العمليات المنتظر وإعداده للهجوم فى سرية تامة وكذلك إعداد برامج التدريب المناسبة .

ونجحت القوات المسلحة المصرية فى تجهيز القوات للقتال والعبور فى مايو ١٩٧٣م، على الرغم من عدم وصول بعض الأسلحة حتى يوم ٥ أكتوبر وبعضها وصل يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣م أى نفس يوم المعركة، وبدأت خطة الخداع الاستراتيجى التى نجحت فى إخفاء نية مصر للقيام بالحرب لتحرير أراضيها حتى اندلعت الحرب ليفاجأ العالم بالانتصار المصرى الذى تحقق.

■ شهيد إصلاح كبارى العبور:

العميد أحمد حمدى من أبناء المنصورة دقهلية، تخرج فى كلية الهندسة جامعة القاهرة عام ١٩٥١م، والتحق بالكلية الحربية ليتخرج ضابطًا بالقوات المسلحة بسلاح المهندسين عام ١٩٥٤م، وحصل على دبلوم الدراسات الميكانيكية من هندسة القاهرة

قبل أن يحصل على دورة القادة والأركان من أكاديمية «فرونز» العسكرية بسلاح المهندسين، حتى عمل قائدًا للواء الكبارى المخصصة لعبور المدرعات والقوات الميكانيكية حتى استشهاده وكان أول من منح وسام نجمة سيناء.

وفى يوم ١٤ أكتوبر بينما كانت الحرب قد اشتد وطيسها، كان العميد أحمد حمدى قائد أحد لواءات الكبارى على الجبهة وسط القناة، وهو يقوم بإصلاح أحد الكبارى، وكان هذا الكوبرى مخصصًا لعبور القوات المدرعة التابعة للجيش الثالث الميدانى إلى الشرق وعبور القوات الميكانيكية، بعد إصابة الكوبرى إصابة جسيمة تمنع استخدامه إلا بعد إصلاحه بما يعنى احتمال تأخير عبور المدرعات والقوات الميكانيكية فى موعدها المحدد وتأخر الإمدادات للقوات ..

وحتى لا يتوقف تدفق الإمدادات والقوات إلى شرق القناة تقدم العميد أحمد حمدى بنفسه لإصلاح الكوبرى، ولم يكلف أحدًا من مساعديه بالمهمة، واستقل سيارته متجهًا إلى الكوبرى المصاب، وحمل معه كمية من البسكويت والشاى ليوزعها على الجنود بمجرد وصوله وهم يحاولون إصلاح الكوبرى، ويقف بينهم رغم القصف الإسرائيلى المتواصل على المنطقة، واستمر معهم حتى لا تتأخر عملية الإصلاح ثم عادت الطائرات الإسرائيلية مرة أخرى لتقصف منطقة الكوبرى فى محاولة لإعاقة عملية الإصلاح بينما العميد أحمد حمدى بين جنوده .

وبعد إصلاح العطل الأول فى الجزء الذى أصيب نتيجة القصف الإسرائيلى، أصيب جزء ثان مما استلزم بقاء العميد أحمد حمدى ليطمئن بنفسه على الانتهاء من إصلاح الكوبرى، وظل فوق الكوبرى يباشر مهمته وسط جنوده رغم أنه يعلم أن المنطقة مكشوفة للطيران الإسرائيلى، ولكنه أصر على إصلاح الكوبرى حتى لا يتأخر تدفق القوات إلى الشرق، وكان فى سباق مع الزمن لإصلاح الكوبرى فى أقل وقت ممكن، وقبل أن تأتى الطائرات الإسرائيلية مرة ثالثة .

وخلال عملية إصلاح الكوبرى تسقط دانة ثقيلة بالقرب من الموقع الذى يقف فيه العميد أحمد حمدى ليصاب بشظية أدت إلى استشهاده وحده، وكتب الله النجاة لبقية جنوده، ثم يواصل الجنود عملهم حتى تم إصلاحه وعاد لاستقبال المدرعات والقوات الميكانيكية إلى الشرق، وسالت دماء الشهيد العميد مهندس أحمد حمدى على كوبرى العبور، ويطلب جنوده أن يدفن الشهيد فى منطقة قريبة من مكان استشهاده، وتمضى الأيام ليطلق اسم الشهيد اللواء أحمد حمدى على النفق الذى أُنشئ ليربط الوادى بسيناء.

■تفوق عسكريًا ودبلوماسيًا:

عمل بسلاح المدرعات بعد أن تخرج فى الكلية الحربية عام ١٩٤٢م حتى تولى منصب كبير معلمى مدرسة المدرعات، ثم عمل مدرسًا بكلية القادة والأركان، فرئيسًا لفرع العمليات للقوات العربية فى حرب اليمن، ثم شارك فى معركة يونيو ١٩٦٧م، كقائد لواء مدرع، وخاض بقواته معركة مهمة فى مضيق الجدى، ذكرها الرئيس السادات، وهو يقدمه كرئيس للمخابرات العامة المصرية، بعد حرب أكتوبر ١٩٧٣م

وكان الفريق كمال حسن على محاربًا منذ تخرجه فى الكلية الحربية، حيث شارك فى حرب فلسطين ١٩٤٨م، وفى معركة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦م، ثم فى حرب يونيو ١٩٦٧م، وبعدها شارك فى التخطيطات لحرب أكتوبر ١٩٧٣م، وهو مدير لسلاح المدرعات حيث تولى من خلال رجاله، إعداد القوات المدرعة للقتال فى حرب أكتوبر، وخاضت هذه القوات معارك ضارية على جبهة القتال وتصدت للمدرعات الإسرائيلية على طول الجبهة .

وبعد حرب أكتوبر اختير رئيسًا لفرع العمليات بهيئة عمليات القوات المسلحة، ثم مساعدًا لوزير الدفاع، وبعدها رئيسًا للمخابرات، ثم وزيرًا للدفاع والإنتاج الحربى، وقائدًا عامًا للقوات المسلحة، وبعدها وزيرًا للخارجية، ونائبًا لرئيس الوزراء، ثم رئيسًا للوزراء .

وسجل الفريق أول كمال حسن على تجربته كمحارب، وتجربته كمفاوض فى كتابه (محاربون ومفاوضون)، والذى يروى أسرار عمله، بين الحرب والسلام – من خلال المناصب التى تولاها، والتى خاض فيها الحروب كرجل عسكرى وتلك التى خاض فيها معارك السلام، كمفاوض بعد اتجاه مصر للسلام، وآخرها دوره فى المعركة القانونية لتحرير طابا، حيث أعلن موقف مصر من قضية طابا، والقرار المصرى بإحالة القضية للتحكيم، وهو ما كانت ترفضه إسرائيل .

■ شهيد الدفاع عن حدود مصر:

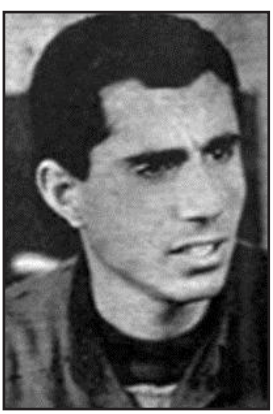

ولد سليمان محمد عبد الحميد خاطر بقرية (أكياد) التابعة لمركز (فاقوس) بمحافظة الشرقية عام ١٩٦١م وهو أصغر أشقائه فى أسرة أنجبت بنتين وثلاثة أولاد.

كان سليمان قد بلغ التاسعة من

عمره عندما قصفت إسرائيل مدرسة بحر البقر فى الشرقية فى ٨ إبريل عام ١٩٧٠م، والتى استشهد فيها ثلاثون طفلاً من الأطفال بعدما دُمرت المدرسة لتتساقط دماؤهم الزكية على كتبهم وكراستهم المدرسية فى مذبحة بشعة ضد الإنسانية على يد الصهاينة أعداء الإنسانية . وقد استفزت هذه الواقعة مشاعر سليمان خاطر وظلت عالقة فى ذهنه كنموذج حى لوحشية العدو الإسرائيلى فلم يرحموا حتى الأطفال ولم يفرقوا بين المنشآت العسكرية والمنشآت المدنية.

وكان يدرس فى كلية الحقوق، ثم التحق سليمان خاطر بالقوات المسلحة المصرية لأداء الخدمة العسكرية الإجبارية وكان ضمن قوات الأمن المركزى الرابضة على حدود مصر لحراستها فى منطقة جنوب سيناء .

وأثناء نوبة حراسته فى يوم ٥ أكتوبر عام ١٩٨٥م قبيل غروب الشمس عند منطقة (رأس برقة) أو(رأس برجة) بمنطقة جنوب سيناء، حاول أن يقترب سبعة من الإسرائيليين من نقطة حراسته متسلقين الهضبة، فقام سليمان على الفور بتحذيرهم بأنهم قد تجاوزوا الحدود المصرية وهذا ممنوع، ولكنهم لم يلتفتوا له .. حذرهم ثلاث مرات فتجاهلوا تحذيره فما كان منه إلا أن أطلق الرصاص عليهم فسقطوا قتلى.

وقد جاء فى أقوال البطل سليمان خاطر أثناء التحقيق معه عند وصفه لما حدث يوم ٥ أكتوبر عام ١٩٨٥م أنه

قال : (كنت واقف على نقطة مرتفعة من الأرض، وأنا ماسك الخدمة ومعى السلاح شفت مجموعة من الأجانب ستات وعيال وتقريبًا راجل وكانوا طالعين لابسين مايوهات منها بكينى ومنها عرى فقلت لهم (ستوب نو باسينج) بالإنجليزية ... ماوقفوش خالص وعدوا الكشك، وأنا راجل واقف فى خدمتى وأؤدى واجبى وفيه أجهزة ومعدات ما يصحش حد يشوفها والجبل من أصله ممنوع أى حد يطلع عليه سواء مصرى أو أجنبى، دى منطقة ممنوعة .. وممنوع أى حد يتواجد فيها، وده أمر وإلا يبقى خلاص نسيب الحدود فاضية، وكل اللى تورينا جسمها نعديها. (وذلك فى إشارة منه إلى حادثة كانت وقت ذاك ما زالت حديثة حين استطاعت امرأة صهيونية أن تتحايل بالعرى على أحد الجنود المصريين فى سيناء، وتحصل منه على تردد أجهزة الإشارة الخاصة بالأمن المركزى هناك بعد أن ادخلها الشاليه المخصص للوحدة)

وقبل أن ينطق المحقق بأمر.. قال لهم أخيرًا .. أمال أنتم قلتم ممنوع ليه ؟

قولوا لنا نسيبهم وإحنا نسيبهم..

– سأله المحقق: لماذا يا سليمان تصر على تعمير سلاحك؟

وفى بساطة قال (ربنا يسامح اللى علمها لى) لأنه قال لى.. اللى يحب سلاحه يحب وطنه ودى حاجة معروفة

واللى يهمل سلاحه يهمل وطنه.

– بماذا تبرر حفظ رقم سلاحك؟

– وكانت الإجابة من أوراق التحقيق .. لأنى بحبه زى كلمة مصر تمام.

وبعدها قُدم سليمان خاطر للمحكمة العسكرية وفى المحكمة قال سليمان: (أنا لا اخشى الموت ولا أرهبه .. إنه قضاء الله وقدره لكننى أخشى أن بالحكم الذى سوف يصدر ضدى يكون له آثار سيئة على زملائى، تصيبهم بالخوف وتقتل فيهم وطنيتهم) .

وصدر الحكم عليه فى ٢٨ ديسمبر عام ١٩٨٥م بالأشغال الشاقة المؤبدة لمدة ٢٥ عامًا وأودع سليمان فى السجن، ولكنه كان على يقين بأن هناك أمراً سيصدر بالإفراج عنه عاجلاً أم آجلاً لإيمانه العميق بأن ما فعله كان لحماية حدود مصر وهذا واجبه نحو وطنه .

وفى رسالة كتبها سليمان خاطر من داخل السجن أرسلها لأهله أنه عندما سأله أحد السجناء بتفكر فى إيه ؟

قال له: أفكر فى أمى .. مصر .. أتصور أنها أمرأة طيبة مثل أمى تتعب وتعمل مثلها وأقولها يا أمى أنا واحد من أبنائك المخلصين .. من ترابك .. ودمى من نيلك وحين أبكى أتصورها تجلس بجانبى مثل أمى فى البيت فى كل

إجازة تأخذ رأسى فى صدرها الحنون، وتقول لا تبك يا سليمان، أنت فعلت كل ما كنت انتظره منك يا بنى .

وفى ٦ يناير عام ١٩٨٦م أعلنت السلطات المصرية وقت ذاك نبأ انتحار سليمان خاطر فى محبسه، وهذا ما أثار شكوك الكثير من القوى السياسية والشارع المصرى، وقد أكد أفراد أسرته أن سليمان خاطر متدين ومؤمن بطبعه ومحب لبلده ولا يمكن أن يفكر فى الانتحار وأنهم أثناء زيارتهم الأخيرة له يوم ٥ يناير ١٩٨٦م أى قبل وفاته بيوم واحد طلب سليمان منهم إحضار معجون أسنان وكُتب فى القانون وبدلة شتوية فى الزيارة القادمة، وهذا يؤكد على أن فكرة الانتحار لم تكن لديه .

وعلى الرغم من كون ما أُعلن عن نبأ انتحاره وما صاحبها من تضارب فى الآراء حول إعلان هذا لمجرد المواءمات السياسية التى قد رأتها الحكومة فى ذلك الوقت إلا أن من المؤكد وبدون أدنى شك أنه قام بعمل جليل لحماية حدود وطنه كما يرفض العقل والمنطق فكرة انتحاره.. فنحسبه شهيدًا عند ربه فهو نموذج للجندى المصرى الوطنى المخلص .

■بطل عملية رأس النقب:

ترجع جذور البطل أيمن محمد حسن إلى قرية (الغنيمة) التابعة لمركز (أبو كبير) بمحافظة الشرقية .. استقر والده بمدينة الزقازيق ومعه أسرته حيث مكان عمله – حيث كان يعمل بشركة أتوبيس شرق الدلتا – وهناك وُلد أيمن فى شهر نوفمبرعام ١٩٦٧م

وفى عام ١٩٩٠م التحق أيمن كأى شاب بالقوات المسلحة المصرية لأداء الخدمة العسكرية وجاء توزيعه ضمن القوات المنوط بها حماية الحدود عند منقطة (رأس النقب) الحدودية بالقرب من وادى سهل القمر بتبة الصفرة.

وفى أعقاب احتفال مصر بنصر أكتوبر عام ١٩٩٠م حدث أثناء تواجد الجندى أيمن محمد حسن فى خدمته أن الحبل الذى يربط العلم المصرى على السارى قد فك رباطه وطار العلم ليسقط على الجانب الإسرائيلى من الحدود، وبدلاً من أن يسلمه الجندى الإسرائيلى الموجود بالنقطة الحدودية نفسها كما ينص البروتوكول العسكرى إلى الجانب المصرى التقطه من على الأرض ومسح به حذاءه مما أثار غضب وأستياء الجندى أيمن فذهب وأبلغ قائده بما حدث فوعده بأنه سيرى ما الذى يمكن أن نفعله تجاه ما حدث..

ولكن الجندى الإسرائيلى لم يكتف بفعلته الأولى بل قام بإهانة العلم المصرى مرة أخرى بإرتكاب أفعال مهينة به مع فتاة إسرائيلية، مما زاد من غيرة الجندى أيمن على حرمة علم بلده، وقرر فى نفسه بدون إبلاغ أحد أنه لابد من قتل هذا الجندى الإسرائيلى جزاءً بما فعل بالعلم المصرى ... وبعد أيام من هذه الواقعة جاءت مذبحة المسجد الأقصى وانتهاك حرمته مما جعل أيمن تزيد رغبته فى الانتقام ليس من هذا الجندى فقط بل من كل ما أمكن قتله من القوات الإسرائيلية من ضباط وجنود .

أخذ أيمن يخطط ويتدرب على تنفيذ هذه العملية ويراقب تحركات الدوريات والأتوبيسات الخاصة بالضباط وضباط الصف والجنود الإسرائيليين بدقة شديدة استعدادًا لإقتحام الحدود الإسرائيلية والنزول إلى الأراضى المحتلة لمدة تزيد عن ٤٦ يوم، وجدير بالذكر أن هذه الخطة تُدرس الآن أكاديميًا ضمن خطط إدارة التخطيط الحربى بالقوات المسلحة المصرية منذ حدوث هذه العملية.

وبعد تدريب شاق واستطاعته توفير خزائن من الذخيرة كافية للعملية جاء يوم العملية الاثنين الموافق١٩٩٠/١١/٢٦م و بالفعل توغل داخل الحدود الإسرائيلية وانتظر أتوبيسين إسرائيليين كان يمران فى هذا التوقيت وفى البداية هاجم

أيمن سيارة إسرائيلية محملة بالإمداد والغذاء ثم سيارة جيب تابعة لمخابرات العدو وبعدها أتوبيس به عمال وعميد من مفاعل (ديمونه) الإسرائيلى.

وقد نفذ أيمن العملية بكفاءة قتالية شديدة وشجاعة فريدة من نوعها ليثبت أن الجندى المصرى خير أجناد الأرض، وقد استغرقت العملية حوالى ثلث ساعة، وقد نجح بمفرده فى قتل ٢١ ضابطا وجنديا إسرائيليا وعلى رأسهم الجندى الذى مسح قدمه بالعلم المصرى وإصابة ٢٢ آخرين.

وبعد انتهائه من تنفيذ العملية كان يتمنى الشهادة ولكن على أرض وطنه، فأخذ يهرول مسرعًا فى اتجاه العودة إلى الجانب المصرى، وقد أصيب بجرح سطحى فى رأسه، وأخذت طائرة إسرائيلية تلاحقه وتطلق عليه وابل من النيران حتى وصل للجانب المصرى ولكن الله شاء أن يبقى على قيد الحياة . وبعدها سلم نفسه لقيادة الجيش التابع لها وقد حُكم عسكريًا وحبس لمدة ١٠ سنوات .

وقد تم التضييق عليه من الجهات الأمنية وقت ذاك حتى بعد خروجه فى ٢١ نوفمبر عام ٢٠٠٠م من السجن بغرض المواءمات السياسية التى كان يراها النظام الحاكم فى ذلك الوقت بإثبات أشياء ووضع صورة عن هذا البطل تخالف الواقع ولكن رغم كل هذا سيبقى الجندى أيمن محمد حسن نموذجاً مشرفاً للجندى المصرى الذى ثأر لكرامة بلده وأمته.

وعلى الرغم من قراءتنا لكثير من بطولات هؤلاء الأبطال، فإننا مازلنا نشتاق لمعرفة المزيد منها، كلما أطل علينا أحدًا من أبطال أكتوبر ليروى قصص التضحية والفداء سواء على شاشات التلفاز أو على صفحات الجرائد، فعندما يتحدث صناع الإنتصار.. ينصت الجميع ليستعيدوا مرة أخرى ذكرى النصر المجيد.

□□□